

دور أئمة تيهرت الرستمية في تشجيع و تطوير الحركة الفكرية خاصة العلوم الدينية

الأستاذة فطيمة مطهري

جامعة أبي بكر بلقايد/ تلمسان

مدخل:

يقول ابن خلدون: "أعلم أن العلوم التي يخوض فيه البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلًا وتعليمًا هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذ عن وضعه، والأول هي العلوم الحكيمة الفلسفية العقلية يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل".¹

لعل الجو العلمي الذي كان سائدًا في الأسرة الرستمية الحاكمة، أثر في التجاوب الفعلي من طرف أفراد المجتمع التيهرتي خاصة، بروز فئة من العلماء الأجلاء في مختلف المجالات: العلوم النقلية والعقلية التي حملت مشعل العلم في الأوساط الرستمية خاصة والبلاد الإسلامية عامة.

ومن بين هذه العلوم العلوم النقلية وفي مقدمتها العلوم الدينية من علم التفسير، وعلم الحديث وعلم القراءة وعلم الفقه، وهذه العلوم النقلية كلها مختصة باللمة الإسلامية وأهلها".²

¹ - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2007، ص - ص 442-443.

² - عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة: المصدر نفسه، ص443.

إن الأوضاع السياسية والاقتصادية وتواجد عدة مذاهب في المغرب الإسلامي ولا سيما الدولة الرستمية، وتحديدًا حاضرتهم تيهرت وجهود الأئمة الرستميين كانت عوامل بالغة الأثر في جعل العلوم النقلية من حديث و تفسير وفقه تحظى بالنصيب الأوفر من التطور والعناية والاهتمام مقابل العلوم الأخرى، فقد كانت هذه المدينة عامرة بحفاظ الحديث وثقات المحدثين¹.

وتميزت تيهرت الرستمية بغزارة الإنتاج في العلوم الشرعية و السبب الرئيس في ذلك هو الاهتمام الكبير لأئمتها فأغلبهم كان قائما بالعلم والتفقه في الدين ساهرا على رعايته ونشره بين رعيته حريصا على طلبه من مصادره غير مضيقين على من خالفهم في الفكر والمذهب، وينطبق هذا الوصف على الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الذي جمع بين الفقه والشعر فكانت له حلقات لتدريس الفقه والأصول وعلم الكلام واللغة وتتلמד على يديه جمع من العلماء منهم ابنه أبو اليقظان وأبو بكر²، كما كثر الإنتاج الفقهي أيضا بسبب تعدد المذاهب ومنها المذهب المالكي الذي انتقل إلى تيهرت عن طريق التجارة والحج³.

إن وجود هذه المذاهب في تيهرت رفقة كفالة الحرية في الدفاع عنها من طرف الأئمة أنفسهم أدى إلى انتشار أهم مظهر من مظاهر التطور الفكري والتنوع الفكري في تيهرت، ألا وهو المناظرات العلمية، فقد كان علم المناظرة هو أول ما يدرسه الشيخ الإباضي فيكون مضطرا إلى الإلمام باللغة العربية والقرآن والتاريخ و علم الفقه والفلسفة⁴، ولقد وصف لنا أبو زكرياء بعض المناظرات التي عرفتها تيهرت فقال: "ثم إن الإمام رضي الله عنه أمر بالصفوف فصفت والواصلية قد صفت صفوفها فقد خرج

1 - ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر بيروت، 1995، ج2، ص8.

2 - جمعية التراث: أعلام الإباضية منذ القرن 1هـ إلى العصر الحاضر، مجلد1- 2- 3، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1999، ج1، ص120.

3 - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص98.

4 - محمد عليلي: الإشعاع الفكري في عهد الأغلبية و الرستميين خلال القرنين 2- 3هـ/ 8- 9م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007- 2008، ص80.

مهدي للمناظرة بين الصفيين ومن معه من أصحابه وجماعة المسلمين فخرج معهم الإمام بوجود أصحابه فخرج الفتى المناظر من المعتزلة ووجوه المعتزلة معه فقال مهدي [□] لحمد بن يانس أخرج عليه فناظره فقال له بن يانس فأخرج إليه أنت و لست بأعلم مني، قال خرج المهدي وتقدم إلى الفتى المعتزل وقد كان قبل ذلك أسلمته نفسه وظنت به الظنون فأرسل المهدي في سر من أصحابه يقول له أني إذا ناظرتك وغلبتني أريد أن تستر علي وإن غلبتك سترت عليك و ليس فينا أحد يدري من الدائرة على صاحبه فاتفق المهدي مع أصحابه إذا غلبته ينزع الشاشية عن رأسه ويضعها تحت ركبته [□].

وكانت أهم وأشهر المناظرات التي احتضنتها تيهرت تلك التي دارت بين الإباضية والمعتزلة، إذ تذكر المصادر والمراجع أن علماء الفريقين كانوا يلتقون بواحي مينة، في حلقات مناظرة تدور حول مواضيع فقهية بالأساس إلى جانب العلوم الأخرى كعلم الكلام واللغة، كما لا شك أن هذه المناظرات كان لها محاسن وآثار إيجابية من حيث أنها أسهمت في ظهور مؤلفات أظهرت جهود العلماء والفقهاء في حركة التأليف اعتبرت ذخيرة علمية وأدبية للمؤسسات العلمية في هذا العصر.

لقد تضافرت عدة عوامل لتطوير الحركة الفكرية في مقدماتها جهود الأئمة الرستميين، فيما يظهر دورهم ومساهماتهم في النهضة الثقافية؟ وما هي مظاهر ازدهار العلوم الدينية؟

1- تشجيع الأئمة الرستميين للحركة الفكرية: مما لا شك فيه أن الطابع الذي كان غالبا على الأئمة الرستميين زهدهم في شؤون الحياة الدنيا، وعدوهم عن شهواتها و

¹ - قال عنه الشماخي أنه كان شيخا فضلا فقيها، و كان ممن أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم"، ينظر الشماخي: كتاب سير المشائخ، طبعة حجرية، قسنطينة، ج1، ص143، أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص - ص 69-78.

² - أبو زكرياء: نفسه، ص70.

³ - ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق و تعليق محمد الناصر و ابراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986، ص94.

ملذاتها، حيث كان همهم الوحيد هو الظفر بمرضة الله تعالى، لذلك كانت عنايتهم الكبيرة بالعلوم خاصة الدينية منها¹.

ولذا فقد بذل الأئمة الرستميون جهودهم في سبيل تنشيط الحركة الفكرية و العلمية في ربوع دولتهم من تشييد للمساجد والدور العلمية وجلب الكتب من المشرق فكان لاهتمامهم أثر في تفعيل المجال العلمي²، كما اهتمت أيضا الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم والآثار، ولعل من أشهر مكتباتها مكتبة المعصومة التي كانت تحوي آلاف من المجلدات والكتب، قدرها الباحثون بثلاثة آلاف مجلد³، فمن بين ما كانت تحويه، كتب الحرف والفنون الدينية و الدنيوية⁴، و لعل تسامح الأئمة هو الذي زاد وأفاد توسع النطاق المعرفي، وأصبحت بهذا تيهرت توازي القيروان حاضرة العلم⁵، حيث أنهم كرسوا حياتهم للعلوم وشرائها ونشرها في كل طبقات المجتمع، و ذلك بشجيعهم على طلب العلم، حتى وصل بهم الأمر إلى لتدريس بأنفسهم في جامع تيهرت وجبل نفوسة⁶، حيث أنه كان من بين الشروط التي تؤخذ بعين الاعتبار عند اختيار الإمام، و مبايعته أن يكون علما ورعا⁷، وهذا ما لمسناه من أغلب الأئمة الرستميين

1 - رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص111.

2 - معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

3 - المعصومة: ربما يكون قد أطلق عليها هذا الاسم لقربها من القصة التي كانت مشرفة على السوق المسماة المعصومة، البكري، المصدر السابق، ص66، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص8، مهنا السعدي: الدولة الرستمية دولة جهلها التاريخ، على موقع www.FRWLA.com، نظر يوم، 11 - 02 - 2006، 10:45.

4 - موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي، مكتبة المعصومة، هل أحرقت؟ أم نقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني وارجلان؟ مجلة الأصالة، العدد 44، وارجلان، 1977م.

5 - صالح بالجيّة: المرجع السابق، ص57، و قد تحدث عنها ابن حوقل فقال: "فكانت القيروان أعظم مدينة بالمغرب و أكثرها تجرا و أموالا و أحسنها منازل و أسواقا، و كان فيها ديوان جمع المغرب و إليها تجنى الأموال و بها دار سلطانها و بظاهرها المكان المدعو رقادة كانت منازل لآل الأغلب"، ابن حوقل: المصدر السابق، ص96، خاصة الدور الذي لعبه مسجدها الجامع حيث قيل: "لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعاه له مدينة"، أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته و نظمه، دار الفكر، ط2، دمشق، 1982، ص358.

6 - السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص574.

7 - معروف بلحاج: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

لا سيما الأولين منهم. فالإمام عبد الرحمن بن رستم كان قد أخذ العلم من المشرق، واعتبر من حملة العلم كم ذكرنا¹، وكان له من العلم الغزير، حيث قال عنه أحد معاصريه: "لا أعلم من يخرج مسائل الدماء، أهل القبلة في زماننا إلا عبد الرحمن بن رستم بالغرب كما كان سمحا غير متشدد في الدين"²، بارعا في علوم الدين واللغة والفلك، وكان محبا للعلم فأقبل على التأليف على قلة ما كان يجده من الوقت، فصنف كتابا في التفسير³، هذا الذي تنافس عليه الإباضية الوهبية والنكارية على اقتنائه، ذلك لأن الكتاب هو لأول إمام لم يقع عليه الاختلاف، وتولته الطائفتان معا، أما كتابه الثاني فقد جمع في خطبه التي كان يلقيها وما أسهم به ذلك في نشر الدين والفقه والثقافة⁴، ليليه فيمات بعد ابنه الإمام الرستمي الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن (171-208هـ)، والذي سار على خطى أبيه، فكان علما يلقي دروسا في مساجد جبل نفوسة⁵.

ومن المؤلفات التي نسبها إليه ابن الصغير هي نوازل⁶ نفوسة الجبل، ويضيف ابن الصغير أن هذا الكتاب كان في أيدي الإباضية، مشهورا عندهم، معلوما يتداولونه قرنا

1 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص26.

2 - إبراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص265.

3 - محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبد التاريخ، ج1، دحلب للنشر، الجزائر، ص - ص 34 - 36، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج2، ص574، ورغم أن البرادي ومولنسكي يذكran عبد الرحمن ألف شرحا للقرآن، وقد اختفى هذا الشرح وهو أقدم شرح للقرآن ذكرته الآثار الأدبية الإباضية، إلا أن ابن الصغير يذكر أن عبد الرحمن لم يكن له كتاب معروف من تأليفه⁷، تاديبوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في افريقيا الشمالية، ترجمة ريماء جزار، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت2000، ص - ص 38 - 39.

4 - مهنا السعدني: المقال السابق، في الموقع الإلكتروني السابق.

5 - بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص241.

6 - هي التي تنزل على العباد مما ليس لهم عهد من كتاب الله، ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيسرع لهم الجهاد بين خطي ومصيب، والكل محمول عنهم، أو مسائل نفوسة، يجيب فيه عن 300 سؤال، ابن الصغير: المصدر السابق، ص45، هامش إبراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص267، ذكر المخطوطة رقم تاديبوس ليفيتسكي: المرجع

بعد قرن، وقد كان هذا الإمام يبعث بالأموال إلى العراق لشراء الكتب، ولا يمل قراءتها شتاء أو صيفا⁴².

أما الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ) فيعتبر عهده من أزهى عصور الدولة الرستمية ثقافة وفكرا، ورخاء اقتصاديا، فقد كان قبل توليه الإمامة يقعد بين يديه ثلاث حلقات في علم الفقه والكلام واللغة⁴³، وله أجوبة ونوازل تخص المسائل الفقهية، حيث نقل عنه العديد من المؤرخين أمثال أبي زكرياء في الحديث والشعر وغيرهم⁴⁴، فأصبح من العلماء المشهورين، وانفرد بأقوال في علم الكلام واعتبر من أجلها إماما، كما بلغ مبلغا في حساب الغبار، والنجامة، كما حث على دراسة الكتب حيث قال: "عليكم بدراسة كتب المسلمين، لا سيما كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل"⁴⁵، والإمام محمد بن أفلح بن عبد الوهاب الذي قال عنه الدرجيني: "فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدلون أيامه وسيرته إلا بأيام جله عبد الرحمن وسيرته، وذلك أنهم اتخذوا مجلسه حينئذ كالمسجد، فطائفة يصلون وطائفة يقرأون الكتاب، وطائفة يتذكرون في فنون العلم...وله تأليف في الرد على أهل الخلاف لا يشق فيها غباره"⁴⁶، أما عهد الإمام أبي بكر الرستمي، فيبدو أنه كان عهد شعر وأدب، حيث ذكر عنه ابن الصغير أنه كان يحب الأدب والأشعار وأخبار الماضين، وكان يحب اللذات ويميل إلى الشهوات⁴⁷، كما كان

السابق، ص42.

¹ - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص162، محمد علي دبو: تاريخ المغرب الكبير، المرجع السابق، ج3، ص- ص272-273، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص نفسها.

² - الوسياني نقلا عن تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص143، و سنتطرق للعلوم في الحية الفكرية.

³ - بلحاج معروف: الإنتاج الفكري، المرجع السابق، ص242، و لقد نحأ نحو أبيه الإمام عبد الوهاب و ألف كتابا سماه "جوابات الإمام أفلح"، محمد عليلي: المرجع السابق، ص84.

⁴ - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص81.

⁵ - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص- ص83-84.

⁶ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص82، يقول جودت عبد الكريم أنه كان شغوبا باللغة و الأدب، جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص107.

مشهورا بعلمه، فقد ألف عدة كتب ليجيب المخالفين¹ ويدافع عن دينه ويرد على الفرق في مقالاته².

فكان يحثهم على الاهتمام بالأدب والشعر والتاريخ، أضف إلى ذلك جعلهم اللغة العربية لغة رسمية³ فاعتبروها لسان الدولة الرسمية، وما دل على ذلك تلك الرسائل التي كان يبعثها الأئمة الرستميون إلى الأئمة البربريين في الحث على الطاعة و التمسك بالدين، وعقود ولايتهم لعمال طرابلس، وبالتالي كانت اللغة الرسمية، ولسان علومهم وآدابهم أيضا⁴، وأسلوبا لمناظرتهم⁵، ولذلك لشيوع المذاهب في تلقيح الأفكار وخدمة أدباء الإباضية حيث كانت هذه الأخيرة تتمتع بحرية فكرية، وكانت لكل فرقة مسجدها وعلمائها وحلقات دروسها⁶.

2- العلوم الدينية ومظاهر ازدهارها:

* التفسير:

هو من أعظم العلوم الدينية مقدارا، و أرفعها شأنًا و منارا لكونه رئيس العلوم الدينية و رأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها⁷، و التفسير هو شرح كلام الله تعالى ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه لفهم اللغة العربية⁸.

1 - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص112.

2 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص81.

3 - محمد علي دبو: المرجع السابق، ج3، ص371.

4 - مبارك الملي: المرجع السابق، ص77.

5 - تكون المناظرات بين فقهاء الفرق المختلفة، و تكون متممة باللياقة و الملائمة، تخاض فيها مسائل مذهبية و دينية، و كان يحكمهم شيخ إباضي متطلع في اللغة العربية و القرآن و الحديث و علم العقائد و التاريخ، و غالبا ما يتحول إلى صراعات، رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص113.

6 - محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص- ص 124 - 159.

7 - أحمد محمد الصاوي المالكي: حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، ج1، مطبعة مصطفى محمد مصر، 1934، ص2، عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص- ص 484 - 486.

8 - لخضر عبدلي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان (633 - 962هـ/ 1236 - 1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004-2005، ص150.

لقد كان اهتمام العلماء المسلمين به كثيرا وخاصة بالقرآن الكريم، كونه المصدر الأساسي ولأول للتشريع الإسلامي، ونظرا لما ورد من الترغيب فيه من النصوص الشرعية كقوله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمُثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قسمه الله و من ابتغى الهدى في غيره أضله الله..."، و من هنا فقد تفرغ بعضهم لتفسيره، قصد تيسير و تسهيل فهمه على العرب، لأن نزوله بلغة العرب لا يعني أن كل العرب يفقهون أحكامه ومعانيه ولأن فهم أي كتاب لا يتوقف على اللغة وحدها إنما يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق ودرجة الكتاب في رقيه²، وبما أن المجتمع الرسمي كان معظم تركيبته البشرية من الجنس البربري، فقد كان الإحتياج الأكبر إلى فهم ما جاء في القرآن الكريم³، وبحاجة ماسة إلى تفسير بعض الآيات التي شكلت عليهم، وقد تفرغ بعضهم إلى هذا، واهتموا بالتفسير للألفاظ والكلمات وشرح معانيها ومعاني الآيات، وعرفوا بالمفسرين لكتاب الله، وذكر الدرجيني أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن طلب من أهل نفوسة أن يبعثوا له وفدا من علمائهم، يضم من كل صنف من العلوم مائة عالم بما في ذلك التفسير ليتناظروا مع المعتزلة بتهيرت⁴.

ولعل أهل نفوسة أرسلوا له مفسرا واحدا، يمكنه أن يحل محل المائة مفسر المطلوبة، وهو محمد بن يانس⁵ الدركلي النفوسي المعروف بـ "ابن أبي المنيب" عاش ما

1 - سورة الحشر: الآية 21.

2 - أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط11، 1979، ص196.

3 - معروف بلحاج: الإنتاج الفكري في عهد الدولة الرستمية، مجلة الفضل المغاربي، العدد2، مجلة دورية يصدرها خبر الدراسات الأدبية والنقدية، وأعلامها في المغرب العربي، كلية أبو بكر بلقايد، تلمسان، أفريل 2004، ص242، مختار حساني: المرجع السابق، ص307.

4 - الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق و طبع ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974، ج1، ص57.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص67.

بين (200 - 250 هـ/815 - 864 م)¹، وهو أشهر مفسري نفوسة وأعلمهم ومن أشهر علماء التفسير أيضا:

- لواب من سلام التوزري المزاتي: من علماء قبيلة مزاتة، كان شيخا وإماما عالما بالأصول والفروع²، وقد قام بتفسير جزء من سورة الشورى في كتابه "شرائع الدين" باعتماده على الحسن البصري وابن العباس³، كما تطرق إلى حكم حجاب المرأة، و فسر الآيات التي تحتويها لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾⁴ وليس في تفسيره أي غموض أو إبهام.

- هود بن محكم الهواري: كان أبوه محكم الهواري قاضي تيهرت في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208 - 258 هـ/823 - 871 م)⁵، وهو أشهر مفسر عرفته الدولة الرستمية و تداولته المصادر والمراجع الإباضية وغير الإباضية.

تلقى هود بن محكم تعليمه في تيهرت وكان يفسر القرآن الكريم بالماثور من الأقوالوقد اتبع في ذلك شروطا ثمانية هي: معرفة المكي والمدني، الناسخ والمنسوخ التقديم والتأخير،

¹ - جمعية التراث: المرجع السابق، ج 4، ص 828، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية (160-296 هـ/777-909 م)،

دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحيلة الفكرية، ط 2، جمعية التراث، القوارق، غرداية، 1993، ص 299.

² - جمعية التراث: المرجع نفسه، ج 4، ص 733.

³ - قال الله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الذي أوحينا إليك)، الآية 13.

⁴ - معروف بلحاج: المرجع السابق، ص 143، ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 299.

⁵ - سورة الأحزاب: الآية 59.

⁶ - محمد مختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبد التاريخ، ج 1، دحلب للنشر، الجزائر، دت، ص 40، موسى لقبال:

دور كتامة، المرجع السابق، ص 77.

المقطوع و الموصول والخاص والعام والإضمار واللغة العربية¹، ألف كتابا في التفسير فيه أربعة أجزاء²، ويعتبر تفسيره مرجعا أساسيا للإباضية بالإضافة إلى الأحاديث النبوية :
* الفقه:

الفقه لغة هو الفهم مصداقا لقوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)³، أي لا تفهمون، وقيل الفقه هو معرفة الأشياء الدقيقة، واصطلاحا هو معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الإجتهد⁴، و عرفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله: "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين"⁵

يعتبر هذا العلم في نظر الإسلام جزء من الدين ومن أمور الدنيا، حيث يتناول الفقه حياة الإنسان كلها من الصغر إلى آخر مراسم الدفن وهو إذن قواعد عملية نتيجة التطور واختلاف البيئات، ولعل الخطوات الأولى للفقه الإسلامي وضعت وقت الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وذلك قبل الانقسامات السياسية والخلافات العقائدية⁶، ولقد كان التنافس على أشده بين المذاهب الإسلامية داخل العاصمة، وعلى شكل مناظرات بين الإباضية والمالكية والحنفية والمعتزلة والصفيرية هذا الجو التنافسي أثر في توجيه اهتمام العديد من العلماء إلى هذا العلم.

1 - محمد ختار اسكندر: نفسه، ص41.

2 - هود بن محكم الهواري: تفسير كتاب الله العزيز 4 أجزاء، تحقيق شريفي بلحاج، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ويذكر الشيخ سليمان داود بن يوسف أنه رغم ضياع كتب الإباضية فإني وجدت نسخة كاملة من هذا الكتاب في خزانة جدي الشيخ أحمد ابن أيوب التجينتي، كتبه بخطه سنة 1050هـ و هو بصدد التقديم للطبع، وقد وجدت بعض الأجزاء من الكتاب متفرقة في وادي مزاب وجربة، ينظر، سليمان داود بن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص60.

3 - صالح بالجية: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى، الجامعة التونسية، الزيتونة للشرعية وأصول الدين، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1976، ص54.

4 - سورة الإسراء: الآية 44.

5 - أحمد بن زكريا التلمساني: غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محمد أو إدير مشنان، المجلد الأول، ط1، دار التراث، دار ابن حزم، الجزائر، 2005، ص- ص 281- 282.

6 - عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص443.

7 - صالح بالجية: المرجع السابق، ص53.

إن التنافس بين الفقهاء على اختلاف مذاهبهم أفضى إلى غزارة التأليف فكثرت بذلك المدونات الفقهية، ولا أدل على ذلك ما قاله ابن الصغير: "...ومن بالبلد من فقهاء الإباضية وغيرهم من الكوفيين والمدينين (أي المالكية) لم يطلب بعضهم بعضا، ولا يسعى بعضهم ببعض.. إلا أن الفقهاء تباحثت المسائل فيما بينها، و تناظرت واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خالفتها فيها صاحبتها..."¹.

والجدير بالذكر أن الحلقات العلمية والمناظرات التي كانت تقام في تيهرت بإشراف الأئمة الرستميين عليها في بعض الأحيان كان لها دور فعال في إثراء الفقه كانت حلقات الجدل والمناظرة تعقد بين فقهاء المالكية والإباضية، يورد بحاز ابراهيم جانبا من مناظرة فقهية بين ابن الصغير المالكي وأبي الربيع الإباضي حول تفسير الآية (وَاللَّائِي يَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا)²، فابن الصغير فسر "لم" بأنها لا تعني النفي القاطع إنما تنطبق على الفتيات الصغيرات اللاتي لن يبلغن سن الحيض، بينما أبو الربيع فسرهما على أنها تعني النساء المسنات . كذلك الأمر بين فقهاء الحنفية والإباضية، حيث يتفق المذهب الإباضي والمذهب الحنفي على الكتاب والسنة والقياس والإجماع والاختلاف هو أن الإباضيين يأخذون بقتاوى الصحابة والتابعين، أما الأحناف فلا يأخذون إلا بقتاوى الصحابة³.

كما أن الفقه الإباضي⁴ تميز بالتشدد وهو ما كان عليه شيوخ المذهب الأوائل، والدافع إلى ذلك هو الرغبة في زيادة الأجر والحيطة من الوقوع في الحرام إذ يذكر أن أبا

¹ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص117.

² - سورة الطلاق: الآية5.

³ - بحاز ابراهيم: المرجع السابق، ص300، ابن الصغير: المصدر السابق، ص- 117 - 118 - 119.

⁴ - عبد الكريم جودت: العلاقات، المرجع السابق، ص96، محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص269.

⁵ - للإباضية آراء فقهية جيدة اقتبست القوانين المصرية في الموارث بعض آرائهم، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، ج1، دار الفكر العربي، ص85.

مرداس رأى على غير قصد امرأة مكشوفة الرأس فصام سنة كفارة على ذلك¹، ومن بين الأحكام الفقهية التي يتميز بها المذهب الإباضي عن سائر المذاهب الأخرى، سواء السنية أو الشيعية، فمثلا في نطاق العبادات وما يتصل بها: تعتبر الصلاة بدون البسمة قبل الفاتحة باطلة، وكذلك الأذان بدون أربع تكبيرات إحرام وما تتميز به صلاتهم أن كل ركعة سرية يكتفي فيها بالفاتحة، والأفضل عند الصلاة إفراد لباس خاص بها تبريا من نجاسة قد تعلق بالثوب، أما في مسألة الصيام، فمن أصبح جنبا أصبح مفطرا (إذا كان عمدا كان عليه القضاء والكفارة) وفي نطاق المحرمات: من زنى بامرأة فلا يجوز له الزواج بها، وكذلك التدخين، ولعب الشطرنج والغناء والموسيقى، وحلق اللحية، والصيد والذبيحة على يد اليهود وبناء القبور على الموتى².

إن الاجتهاد الفقهي في المغرب خاصة بالنسبة للمذهب الإباضي بدأت معمله تظهر بشكل جلي ونهائي، مع ظهور عدد كبير من الشيوخ و الفقهاء، الذين كانوا قد خدموا الفقه في المغرب الأوسط وساهموا في تنشيط الحياة الفقهية في الدولة الرستمية: سواء كانوا إباضيين أو غير إباضيين، نذكر منهم:

● الفقهاء الإباضيون:

كان الأئمة الرستميون أنفسهم علماء وفقهاء ومنهم الإمام عبد الوهاب الذي ألف كتابا في الفقه الإباضي سماه نوازل نفوسة³، جاءت في حوالي ثلاثة مائة سؤال يجيب فيها عن أسئلة النفوسيين⁴، كما ألف الإمام أفلاح بن عبد الوهاب كتاب الجوابات التي

¹ - صالح باجية: المرجع السابق، ص 66.

² - عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962، مراجعة عبد العزيز بو شعيرات، ج 1، دار المعرفة، الجزائر، ص 99.

³ - رابح بونار: المغرب العربي، تاريخه وحضارته، ط 3، دار الهدى، عين ميله، الجزائر، دت، ص 85.

⁴ - حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، ج 1، ط 1، دار الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص 332، ابن الصغير: المصدر السابق، ص 36، ويذكر محمد علي دبوز بأن هذا الكتاب لا زال موجودا في مدن ميزاب وجبل نفوسة وجربة، محمد علي دبوز: المغرب الكبير، المرجع السابق، ج 3، ص - ص 272 - 273.

⁵ - ابن الصغير: نفسه، ص 45.

بحث فيها عن أسئلة فقهية، وما زال هذا الكتاب عبارة عن مخطوط يشمل ثمانين ورقة و يحتاج إلى التحقيق¹.

ومن بين العلماء والفقهاء من غير البيت الرستمي و الذين أسهموا في ازدهار الحياة الفكرية نذكر منهم:

- أبو عبيدة الأعرج: عاش في القرن 3هـ/9م، و عاصر الإمام أبا اليقظان، كان عالما بالفقه² وعلم الكلام والبلاغة والنحو، قال عنه ابن الصغير: "كلهم مقرون له بالفضل، معترفون له بالعلم، مسلمون له في الورع إذ اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه"، و ما ذكر عن خصاله قلة تردده على الأمراء وحسن أدبه³ وابن الصغير كان أحد تلامذته، كان مشهودا له بالورع حتى أن إباضية سجلماسة يبعثون إليه زكاتهم ليصرفها حيث يشاء⁴، و لقد احتضنت تاهرت فقهاء آخرين تمتعوا بنفس المكان الفقهية، و نذكر منهم:

- عبد العزيز بن الأوز: عاش في تيهرت في عهد الإمام أفلح والإمام أبي اليقظان وكان فقيها بارزا رغم أن البعض أخذ عليه فكره السطحي، ويقول عنه ابن الصغير أنه كان صاحب فقه ورحلة نحو المشرق⁵.

¹ - بلحاج معروف: المرجع السابق، ص244.

² - وداد القاضي: ابن الصغير، مجلة الأصالة، الملتقى 11 للفكر الإسلامي بوارجلان، العدد45، قسنطينة، 1977، م1، ص233.

³ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص84.

⁴ - و قال عنه ابن الصغير: "و كان قليل الدخول على أبي اليقظان، و لم يكن يجمعه و إياه سوى المسجد الجامع"، ابن الصغير، المصدر نفسه، ص83.

⁵ - جمعية التراث: المرجع السابق، ج3، ص596.

⁶ - قال عنه ابن الصغير: "و كان له فقه بارع و له رحلة نحو الشرق، ولكنه سفیه اللسان خفيف العقل، ينزهون مجالسهم عن حضوره، ويستغنون عنه في معضلات مسائلهم"، ابن الصغير: المصدر السابق، ص86.

- عبد الله بن الخير: وتلمذ عل يد أبان بن وسيم، ولغزارة فقهه برز في الإفتاء¹ اشتهر بعلمه وقيل عنه من ضيع كتابا كمن ضيع خمسة عشر علما مثل الخير²، و نبغ أيضا في الفقه عيسى بن فرناس النفوسي وأبو ربيع سليمان وعثمان بن أحمد بن يحتاج وأبو ميمون الجيلاطي .

كما لا ننسى جهود حملة العلم الفقهية، أمثال اسماعيل بن درار الغدامسي الذي أدى دورا هاما في التعليم، و نشر الفقه الإباضي، وأيضا داورد القبلي النفزاوي الذي أخذ عنه الإمام عبد الوهاب العلم³، ولم تكن تيهرت وحدها المدينة الرسمية التي كانت تحتضن الفقهاء، فقد ظهر أيضا في جبل نفوسة عدد من الفقهاء، ورأينا أن نذكر ولو البعض منهم لأن الأئمة الرسميين استعانوا بهم في المناظرات وفي القضاء ومن أشهر هؤلاء العلماء والفقهاء:

- عمرو بن فتح المساكيني النفوسي: عاش في عهد الإمام أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح، تولى القضاء بجبل نفوسة، قام باستنساخ مدونة أبي غانم⁴ التي لها أهمية في الفقه الإباضي حيث يعتمد عليها بعد القرآن والسنة، ومسند الربيع مثل مدونة أبي سحنون من أهمية عند المالكية⁵، وكان من الفقهاء الذين قتلوا في موقعة مانوا سنة 283هـ/896م، حيث أخذ أسرا إلى الأمير الأغلي ابراهيم الثاني ثم قتل بطريقة بشعة⁶.

1 - ابراهيم بحاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص - ص 318 - 319.

2 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 179.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص - ص 81 - 110.

4 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص 245، جمعية التراث: المرجع السابق، ص - ص 109 - 2856 - 499 - 505 - 515.

5 - و يذكرني هذا السياق أن أبا غانم بشر بن غانم الخرساني خرج من المشرق متوجها نحو المغرب قاصدا الإمام عبد الوهاب و معه مدونته، و أثناء مروره بجبل نفوسة استودعها عند عمرو بن فتح الذي عكف هو و أخته على استنساخها، ينظر، حبيب الجناحي: دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1990، ص 105.

6 - عمار عمورة: المرجع السابق، ص 99.

7 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 89.

- عيسى بن فرناس ومحمود بن بكر: استعان بهما الإمام أبو اليقظان في أمور الدين والسياسة¹، حيث يذكر ابن الصغير: "وكان إذا جلس (أبو اليقظان) في المسجد الجامع... كان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس، وكان عندهم من الورع بمكان... وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجود الناس، وكان محمود بن بكر يدافع عن الإباضية ويرد عن الفرق الأخرى بمقالاته ويؤلف الكتب في الرد على مخالفه²." - محكم الهواري: عينه الإمام أفلح بن عبد الوهاب قاضيا على تيهرت، قيل أنه كان شديدا في الحق، فلم يفرق بين أمير ومأمور وبين حاكم ورعية، لهذا ارتضاه الناس قاضيا يحكم بينهم بالعدل³، و كان حيا فيما بين 208 - 258 هـ/ 823 - 871 م⁴.

- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ: محمد بن أفلح فقيه من تيهرت عاصر الإمامين أبي اليقظان وأبي حاتم يوسف الذي عينه قاضيا، وقد كان متطلعا في الفقه⁵، و مجموعة أخرى من العلماء والفقهاء أمثال ابن أبي عياض اللواتي الذي عاش في القرن 3 هـ بين عهدي أبي حاتم يوسف ويعقوب بن أفلح⁶، وأبو الربيع سليمان بن زرقون النفوسي الذي كان يستغل بالتدريس في الفقه واللغة بجبل نفوسة⁷ وماطوس بن هارون المتوفي 283 هـ/ 896 م، له كتاب يسمى "كتاب ماطوس"⁸، وأبو حسان عامر بن عاصم

1 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 81.

2 - يقول ابراهيم بحاز: "لم تصل إلينا هذه الكتب التي رد بها محمود بن بكر عن مخالفه الإباضية و لعلها ذهبت ضحية حرق مكتبة الرستميين"، ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص - ص 310 - 311، ابن الصغير: نفسه، ص نفسها.

3 - ابن الصغير: نفسه، ص - ص 59 - 60.

4 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج 4، ص - ص 745 - 746.

5 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 89، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 178، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 86.

6 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج 3، ص 675، محمد علي: المرجع السابق، ص 87.

7 - يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج 1 (الجزائر القديمة والوسطية)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، الجزائر، 1995، ص 121.

8 - جمعية التراث: المرجع السابق، ج 4، ص 738.

السدراتي وهو من ذرية عاصم السدراتي، كان يعقد مجلسين مجلس للقضاء وآخر للنساء، يعلمهن الأحكام ويفقهن في دينهن¹، ومن فقهاء وخطباء تيهرت أيضا: أحمد التيه الذي برز في فن المناظرة، وعثمان بن القفار وأحمد بن منصور، وقد عاصروا الإمام أبا حاتم يوسف بن أبي اليقظان²، وغيرهم كثير.

وما نستنتجه من خلال عرض هؤلاء العلماء والفقهاء مكانتهم الكبيرة عند الأئمة الرسميين، الشيء الذي دفعهم إلى تعيين هؤلاء الفقهاء في منصب القضاء باعتباره جهازا إداريا له علاقة وطيدة بالفقه لأن إصدار الأحكام القضائية يجب أن يتطابق مع الأحكام الفقهية الشرعية، لا سيما إذا علمنا أن من شروط تولي مهمة القضاء، هو أن يكون المؤهل له درجة عالية من الفقه والفتوى، ولعل أشهر قاض شهدته الدولة الرسمية هو عمرو بن فتح النفوسي، الذي وصف بالبحر الزاخر، ولعل أبرز تصنيف يعرف باسم العمروسي³.

• الفقهاء غير الإباضيين:

لم يقتصر الإنتاج الفقهي للمذهب الإباضي فحسب بل فتح المجال لمختلف العلماء ولفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم الفكرية مما مكن من وجود تعايش مذهبي جعل من تيهرت رمزا لما يمكن أن نسميه "حوارا مذهبيا" إلا ما كان يعترض هذا التعايش من تصادم بين الإباضية والمعتزلة الواصلية وأسبابه في غالب الأحيان النزعة القبلية⁴، فقد فتحت تيهرت أبوابها أمام الوافدين إليها من كل حذب وصوب دون تضييق أو تعصب وكان من الطبيعي أن يتواجد عدد من الفقهاء غير الإباضيين خاصة فقهاء المالكية، نذكر منهم: أبو الفضل عباس بن محمد العواف الغدامسي المتوفي سنة 309هـ/921م⁵.

1 - جمعية التراث: المرجع السابق، ص - ص 244 - 245.

2 - إبراهيم مجاز: الدولة الرسمية، المرجع السابق، ص 266.

3 - الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 320.

4 - محمد عيسى الحبري: الدولة الرسمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط 3، 1987، ص 120.

5 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص 246.

و ابراهيم بن عبد الرحمن التنسي، سمع من أبي علي القالي، توفي 307هـ/919م¹، وكذلك الفضل بن سالم البجائي المتوفي 319هـ/931م، كان له باع كبير في الفقه من تأليفه "جامع المسائل الموازنة و المستخرجة"²، وأيضا قاسم بن عبد الرحمن وزكرياء بن بكر والمؤرخ الفقيه المالكي بن الصغير³، كما كان للفقهاء الحنفية قدم راسخة في تيرت بدليل وجود مسجد خاص بهم و كان يطلق عليهم تسمية الكوفيين⁴، ومنهم أبو مسعود وأبو دنون و كانا فقيهين على مذهب الكوفيين⁵، وقد كان لهذين الفقيهين طلع بارز في إحداث المناقشات التي وقعت بين الإمام أبي حاتم و عمه يعقوب بن أفلح في سنوات 282هـ/286م⁶.

*الحديث:

عرف الإباضية بروايتهم للحديث عن شيوخهم بالمشرق منهم حملة العلم الخمسة بالإضافة إلى هؤلاء ذكر ابن الصغير أبو عبيدة الأعرج الذي كان يأتي إليه لسمع منه كتاب اصلاح الغلط وهو تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة⁷، ولعل النقص في المصادر التي تتحدث على مؤلفات الإباضية في هذا العلم دال على عدم الإهتمام الكبير به، فتراجم وسير العلماء لا تأتي على ذكر الحديث إلا قليلا، ولعل ذلك راجع إلى أن تعدد المذاهب في تيرت جعل الفقه يحظى بالإهتمام الكبير في بيئة تميزت بالمناظرات الفقهية

1 - رابح بوناز: المرجع السابق، ص92.

2 - نفسه، ص93.

3 - محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص237.

4 - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص95، ابن الصغير: المصدر السابق، ص36.

5 - الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص180.

6 - ابن الصغير: المصدر السابق، ص134.

7 - ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي، بها مولده و يقال له الدينوري لأنه كان قاضي الدينور، و توفي سنة 270هـ له كتاب "إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث"، ينظر، النديم: الفهرست، ضبط و شرح يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص- ص 58-59، هامش ابن الصغير، ص84، مختار حساني: المرجع السابق، ص308.

و الكلامية، ومع ذلك تشير هذه المصادر إلى أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258م) له روايات في الحديث¹.

ولعل أبرز كتاب إباضي في الحديث هو مسند الربيع بن حبيب الأزدي² الذي كان عل اتصال بعلماء المغرب، وقد اعتمده الإباضية في الحديث وأولوه عناية كبيرة واعتبروه سنداً صحيحاً، وهذا المسند يحتوي على أربعة أجزاء: الأول تناول فيه أحاديث الوحي وذكر القرآن والعلم والولاية والصلاة والزكاة والطهارات، أما الثاني فقد ضم سبعة وخمسين باباً تناول فيه أحاديث الحج والجهاد والطلاق والأحكام، أما الثالث فقد ضم أحاديث احتج فيها الربيع على خصومه كحجة تكفير أهل الكبائر ككفر النعمة، أما الجزء الرابع فضم روايات محبوب بن الرحيل عن الربيع، وروايات الإمام أفلح عن أبي غانم بشير الخرساني، ومراسيل جابر بن زيد³.

أما بالنسبة لإباضية المغرب، فنجد بعض رواة الحديث الذين اهتموا بالفقه الإباضي منهم الشيخ: أبو قاسم سدرات بن الحسن اليعقوبي، وأبو ذر إبان بن وسيم، أبو خليل صال، من أهل دركلل، وكذا أبو المنيب محمد بن يانس⁴، وجابر بن زيد الأزدي، اعترضه نفث في طريقه وأخذ عنه الديوان الذي جمع فيه أحاديث تسعين من الصحابة، وحوى ما عندهم وقام بحفر له ودفنه ولم يعرف وضعه إلى يومنا هذا، كله حسد وغيلة⁵، ولعل هذه الحادثة من حوادث الدهر آنذاك.

ويبدو هذا الفراغ في مصنفات الحديث لعلماء إباضيين، هو الذي دعى أبا عبيدة الأعرج التيهري، العالم الفقيه بالكلام والوثائق والنحو ولغة، إلى دراسة كتب

1 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص242.

2 - هو مسند الربيع بن حبيب الأزدي الفراهيدي العماني، من علماء القرن الثاني هجري، تولى إمامة الإباضية بعد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، عاصر الإمام عبد الوهاب، يحتمل أنه توفي في 172هـ بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص243.

3 - بلحاج معروف: المرجع السابق، ص244.

4 - الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص155.

5 - أبو زكرياء: المصدر السابق، ص96.

غير الإباضية التي كانت من خلفات العديد من رواة الحديث، نذكر منهم أبا عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن اسماعيل الوناتي التيهري¹ الذي يعد من أشهر علماء الجزائر وأدبائها في هذا العصر علما بالحديث، إماما، صدوقا، حافظا للحديث²، ولد بتيهري عام 200هـ أخذ العلم عن علماء بلده، ثم ارتحل إلى القيروان، فأخذ عن صاحب المدونة سحنون بن سعيد، وقد أخذ الحديث عن بكر العديد من العلماء أمثال قاسم بن إصبع والذي نقل مسند مسدد بن سرهد إلى الأندلس، وهو في عشرة أجزاء³، وأيضا ولده عبد الرحمن⁴، وكذا صالح القحطاني المعافري، وقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التيهري التميمي الذي كان من جلساء بكر بن حماد⁵.

ومن المحدثين أيضا أبو سعيد بحيح بن خدّاش توزري، توفي بنفزاوة سنة 296هـ/909م، وقد روى الحديث عن محمد بن سحنون⁶، ويظهر أن معظم هؤلاء المحدثين كانوا قد رحلوا إلى القيروان لتلقي العلم من شيوخها، والمؤلفات في هذا الباب شبه معدومة إلا ما كان قد استعين به في التفسير، وهي طريقة هود محكم⁷ السالف الذكر ويذكر أن نفاثا بن نصر قد أتى معه بنسخة من ديوان جابر بن زيد الأزدي من بغداد، وهو مؤلف يعتقد أنه في الحديث⁸، لما كان يسمعه جابر عن الصحابة منهم بن عباس، يذكر الدرجيني أن مدونة أبي غانم احتوت على جملة من الأحاديث⁹.

1 - ذكره الدباغ باسم بن سمك و بن عذارى باسم بن سمر، ينظر، الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أصل القبروان، ج1، تحقيق، محمد ماضور، ومحمد الأحمد أبو النور، مكتبة الخالجي، مصر، المكتبة العتيقة: ص281، ابن عذارى: المصدر السابق، ص103.

2 - ابن عذارى: المصدر السابق، ص1، ص153، مختار حساني: المرجع السابق، ص308.

3 - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية، ص174.

4 - إبراهيم مجاز: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص309.

5 - بلحاج معروف: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص244.

6 - معروف بلحاج: الانتاج الفكري، المرجع السابق، ص244.

7 - مجاز إبراهيم: الدولة الرستمية، المرجع السابق، ص301.

8 - نفسه، ص- ص 305 - 306.

9 - الدرجيني: المصدر السابق، ص10.

*علم القراءات:

لم تشر المصادر التي رجعنا إليها في التأليف في هذا العلم رغم وجود أئمة جودوا و رتلوا القرآن في المساجد طبقا لما جاء في الآيات الكريمة والتي تحت على الترتيل مثل قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾¹، وكذا قوله عز وجل: ﴿وَرَتِّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾²، وهذا ما ذكره ابن الصغير: "حضرت لهم خطبا كثيرة أولهم ابن أبي دريس والثاني أحمد التيه و الثالث أبو العباس بن فتحون، والرابع عثمان بن الصفار، و الخامس أحمد بن منصور، فسمعت أحمد التيه يقرأ بعد فراغ إلى بلغ: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا﴾³، فقد كان هؤلاء الخطباء يؤمون الناس في الصلاة ومن ثم كان عليهم تجويد القرآن و ترتيله بأحكامه لأنها فرض عين.

الخاتمة:

إن الإنتاج الفكري الإباضي لا سيما الفقه منه لم ينته بعد انتهاء دولتهم و سقوط تيهرت بل استمر في واحات وارجلان وسدراتة وجربة، إذ نزح يعقوب بن أفلح إلى وارجلان عقب مقتل يوسف أبو يقظان، هذه المناطق كانت في الحقيقة معاقل لانطلاقة جديدة للفكر الإباضي بعد سقوط تيهرت فقد أنجبت هذه المدن علماء وفقهاء مثلوا استمرارية فكرية ومذهبية للدولة الرستمية وعرفوا بقوة الاستماتة في الدفاع عن مذهبهم، إذ عاش العديد من أئمة الفكر الإباضي خلال القرن الرابع والخامس الهجريين حتى يومنا هذا ومن هؤلاء الفقهاء نذكر منهم: أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتي المتوفى سنة 570هـ/1174م، سعيد بن زنگيل (أبو نوح) أوائل القرن 4هـ/10م، أبو عبد الله محمد بن بكر الذي تتلمذ على أيدي أبي نوح سعيد بن زنگيل وقد أشاد بنبوغه في الفقه، رحل إلى القيروان لتعلم علوم اللغة العربية.

1 - سورة المزمل: الآية 4.

2 - سورة الفرقان: الآية 32.

3 - ابن الصغير: المصدر السابق، 105.

4 - سورة طه: الآية 4.

إن جهود هؤلاء العلماء والفقهاء في الحفاظ على المذهب الإباضي عملت على التواصل الفكري عبد العصور هو الأمر الذي أدى إلى استمرارية هذا المذهب حتى يومنا هذا إضافة إلى صفة الاعتدال التي لزمتم هذا المذهب منذ نشأته وهي في الحقيقة من عناصر قوته وعوامل انتشاره وبقائه على غرار المذاهب الأخرى التي ظهرت في المغرب ثم سرعان ما اندثرت بسبب جنوحها إلى القوة والإكراه.

ويلاحظ كذلك وجود علماء أجلاء ينسبون إلى القبائل الأمازيغية مثل قبيلة بني يفرن، مما يؤكد على أن الأمازيغ اهتموا بعلوم الشريعة منذ القرون الأولى، لكن أغلب مؤلفات علماء تيهرت لا تزال مخطوطة بجزائن وادي ميزاب، نذكر منها على سبيل المثال جوابات الإمام أفلح ورسالة أبي عبيدة في الزكاة وديوان أبي سهل.

قائمة المصادر و المراجع

*المصادر:

* القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم)

ابن أبي عذاري المراكشي (أبو الحسن أحمد كان حيا سنة 712هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان وإ. ليفي برونفيل، ج1، دار الثقافة، بيروت، الطبعة 2، 1980.

ابن الصغير: أخبار الأئمة الرسميين، تحقيق وتعليق محمد الناصر وإبراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، 1986.
أبو زكريا (يحيى بن أبي بكر): سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979.
أحمد بن زكريا التلمساني: غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، تحقيق محمد أو إدير مشنان، المجلد الأول، ط1، دار التراث، دار ابن حزم، الجزائر، 2005.

الحموي (ياقوت شهاب الدين أحمد أبو عبد الله محمد): معجم البلدان، ج1، ج2، ج3، دار صادر بيروت، 1995.
الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري): معالم الإيمان في معرفة أصل القيروان، ج1، تحقيق، محمد ماضور، ومحمد الأحمدلي أبو النور، مكتبة الخلفي، مصر، المكتبة العتيقة.
الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد): طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق وطبع إبراهيم طلايبي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974.

الشماسي (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد): كتاب سير المشائخ، طبعة حجرية، قسنطينة، ج1، ج2.
النديم (أبو الفرج محمد): الفهرست، ضبط و شرح يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.
*المراجع و الدوريات و الرسائل الجامعية:

- ابراهيم بحاز بكير: الدولة الرسمية (160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، ط2، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1993.
- أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط11، 1979.
- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3-4هـ/9-10م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- حسين مؤنس: تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، ج1، ط1، دار الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1996.
- رابع بونار: المغرب العربي، تاريخه و حضارته، ط3، دار الهدى، عين ميله، الجزائر، دت.
- محمد علي دبو: تاريخ المغرب الكبير، ج3، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، 1963.
- صالح باجينة: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، الطبعة الأولى، الجامعة التونسية، الزيتونة للشريعة و أصول الدين، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس 1976.
- محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبد التاريخ، ج1، دحلل للنشر، الجزائر، دت.
- محمد عيسى الحريري: الدولة الرسمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم للنشر و التوزيع، الكويت، ط3، 1987.
- يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج1 (الجزائر القديمة و الوسيطة)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، وهران، الجزائر، 1995.
- لخضر عبدلي: الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م)، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2004-2005.
- محمد علي: الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرسميين خلال القرنين 2-3هـ/8-9م، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، 2007-2008.
- معروف بلحاج: العمارة الدينية الإباضية بواحي ميزاب، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2002.
- وداد القاضي: ابن الصغير، مجلة الأصالة، الملتقى 11 للفكر الإسلامي بوارجلان، العدد 45، قسنطينة، 1977.
- جمعية التراث: أعلام الإباضية منذ القرن 1هـ إلى العصر الحاضر، مجلد 1-2-3، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1999.